

أزمة منظورات علم العلاقات الدولية والدعوة لمنظور جديد

أ. عدار محمد

كلية الحقوق

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

جامعة بومرداس

مقدمة :

لقد ارتبط مفهوم "الثورة العلمية" بفيلسوف العلم "توماس كون" Thumas Kuhn حيث اعتبر أن الانتقال من نموذج معرفي لآخر سببه عجز (قصور نظري) لذلك النموذج على الاستجابة للتحديات التي يطرحها الواقع وبالتالي يشهد ذلك العلم تحولا (ثورة) بعدما عرف (أزمة) مست بالمستويات المنهجية والأنطولوجية لذلك العلم ، فتأخذ الجماعة العلمية مسؤولية إعادة النظر تلك المستويات بهدف الوصول لحالة توازن بين الجهود النظرية و الواقع المتغير و تحقيق بالتالي العلم السوي .

إشكالية الموضوع :

لماذا لم تستطع نظرية العلاقات الدولية- الوفاء بوظيفة التنبؤ -بمآل نهاية الحرب الباردة بتلك الكيفية (بدون حرب) ؟ هل يتعرض علم العلاقات الدولية لاهتزاز (ثورة) في بنائه النظري و قدرته التفسيرية ؟ هل يفرض واقع -في إطار جدليه مع النظرية -إعادة مراجعة حالة علم العلاقات الدولية ؟

فرضيات الدراسة :

*لقد قادت حالة التغير في الواقع الدولي بعد 1989 (نهاية الحرب الباردة) إلى خلق حالة "أزمة" على مستوى منظورات علم السياسة و بالتالي حدوث "ثورة نظرية" على مستوى المناهج .

*بقدر ما تستجيب النظرية للتحويلات الواقعية ، وذلك من خلال خضوعها للتعديل و المراجعة ، بقدر ما يكسبها شرعية نظرية و ارتفاع درجة الوثوقية و بالتالي تحقيق اليقين .

*يحتاج المحتوى النظري لعلم العلاقات الدولية لإعادة المراجعة ، ليس فقط لمنظورات بعينها (المراجعة الجزئية :عملية تعديل فروض) ، بل يتعلق الأمر بإعادة النظر في البناء النظري و المنهجي لتلك المنظورات .

*تنضمن الدعوة لمنظور جديد كبديل نظري استدعاء منطلقات نظرية جديدة (رؤية جديدة ، مصادر جديدة ، تركيبة معرفية جديدة ،...)

I- محاور الدراسة :

1- بنية النماذج المعرفية الغربية في علم العلاقات الدولية

تميز علم العلاقات الدولية منذ نشأته في أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى بوجود مجموعة من النماذج المعرفية التي حاولت تفسير الظاهرة الدولية من خلال مجموعة من المنظورات ، و على هذا الأساس فإن لكل نموذج معرفي يتضمن منظورا أو جملة من المنظورات تتعاون فيما بينها من أجل تقديم رؤية سليمة عن الواقع الدولي .

أ-تعريف النموذج النظري :هو نمط لعلاقة تصورية أو رياضية مرتبطة بالذهن ، يكوها الباحث عن الواقع محل البحث ، بمعنى ذلك البناء الذهني المكون عن الواقع (علاقة ارتباط) فالنظرية كما يقول "جان مينو" John Mino "دائما تنتهي بأصحابها إلى تقديم "نماذج نظرية" مصغرة يستعان بها لفهم الواقع المستهدف و تصور علاقاته"⁽¹⁾.

نستخلص من تعريف "مينو" على أن عملية التنظير تقوم على وجود ثلاثية مترابطة و تتمثل في : "النظرية /النموذج النظري من جهة و الواقع محل الدراسة من جهة أخرى .

يمكن القول في شأن علاقة النموذج بالنظرية ، أن هناك من يرى أن النموذج أداة أساسية لصياغة النظرية ووظيفة النموذج تنتهي بمجرد الانتهاء من صياغة النظرية⁽²⁾، و هناك من يرى أن النظرية تمثل المرحلة الأولى لبناء النماذج النظرية ، فالنموذج يبين استنادا إلى ما تقدمه النظرية من فروض ومفاهيم و قد يأتي موضحا لها .و بالنتيجة ، أن النظرية أوسع من النموذج من حيث المكونات أو الوظيفة التي تحققها⁽³⁾ .

و على هذا الأساس ، يمكن تقديم وصف دقيق للنموذج من خلال⁽⁴⁾ :

*النماذج لا تصف الواقع ، بل هي تصور ذهني لعلاقات ذلك الواقع ، و من ثم فهي مجرد أداة من أدوات تحليل الواقع السياسي .

*وقتيه النماذج : بمعنى أنها مرهونة بمدى تعبيرها عن الواقع .

ب-المنظور :هو مجموعة الرموز و المفاهيم التي يوظفها الباحث لتنظيم مدركاته و توجيه أفعاله ، فالمنظور يتضمن القيم و المعتقدات و الاتجاهات التي تتوفر في الإطار الفكري العام لعلم من العلوم ، فالمنظور -بحسب" كارل مانهم" ، "Karl , Mannheim" -هو الطريقة التي يرى بها الباحث موضوعا من الموضوعات ، وما يدركه الشخص نتيجة ذلك .

فالمنظور يشير إلى العناصر الكيفية التي تتخطى القاعد الصوري ، فهو يحمل عناصر مسئولة عن اختلاف شخصين في الحكم على موضوع واحد⁽⁵⁾ .

يمكن القول في الأخير أن مصطلح "المنظور" قد تخلله حالة عدم القدرة على الضبط الاصطلاحي ، حيث قرنت "مئي أبو الفضل" بين مصطلح "المنظور" و "النموذج المعرفي التوحيدي" و اعتبرته بمثابة "الناظم الذي يسعى لجمع شتات الظاهرة الاجتماعية و الإنسانية ، و يلم بها من خلال الدمج بين عالمي الغيب والشهادة، أو الوحي والوجود، ومن خلال جمع الأبعاد الزمانية و المكانية للظاهرة و فهمها في هذا الإطار"⁽⁶⁾.

حاولت "أبو الفضل" التركيز على الوظيفة المتهيجة التي يقوم عليها المنظور ، و ذلك عن طريق دراسة الظاهرة الاجتماعية أو الإنسانية في تماسكها ، و استظهار لأبعادها المختلفة.

يطرح "محمد قاسم حاج حمد" تعريفا آخر للمنظور فيقصد به : "القانون الفلسفي أو المبادئ الفلسفية الناظمة بتحديد واضح للأفكار و مصادرها و مناهجها"⁽⁷⁾ .

يبرز "حاج حمد" من هذا التعريف الخلفية المعرفية التي يستند إليها المنظور في عملية تأسيسه؛ في حين أن "محمد وقيع الله" يعتبر "المنظور" مرادفا لكل من "النموذج المعرفي" أو "النظرية العليا" في إطار علم العلاقات الدولية و أن فعاليتها مرهونة بمدى قدرته على الإجابة عن الأسئلة التالية⁽⁸⁾ :

-ماهي طبيعة المناخ السياسي العالمي ؟/-ماهي وحدات التعامل الأساسية على المستوى العالمي ؟/-ماهي أهم المشكلات التي تستعصي على الحل و تساهم في تفجير الأوضاع العالمية؟
ولكن عدنا لفترة ميلاد العلم (علم العلاقات الدولية) إلى يومنا هذا ، أن عملية التنظير الدولي قد عرفت منذ بدايتها تعاقبا لجملة من النماذج المعرفية تنتظم كآلاتي :

2- تعاقبية النماذج المعرفية لعلم العلاقات الدولية : أ-النموذج المعرفي التقليدي :

ينطوي النموذج المعرفي التقليدي على رؤية ذات حدين :
*الحد الأول: مستقى من الأديان السماوية و الفلسفات الإنسانية التي تهتم بوضع الضوابط و المعايير الأخلاقية العامة للسلوك الإنساني.

*الحد الثاني : يقوم على إخفاقات الحد الأول ، حيث أنه سرعان ما تبدي فرضيات الحد الأول المعرفية عدم قدرة على تفسير واقع السياسة الدولية ، حيث يتم التنصل لمجموعة الضوابط و المعايير والقواعد القانونية الدولية .
ترجع الأسس المرجعية للنموذج المعرفي التقليدي لحركة التنوير في القرن 18 م ، كما تعود لليبرالية القرن التاسع عشر ، و المثالية الويلسونية في القرن العشرين⁽⁹⁾ التي تعد مبررا لقيام المنظور المثالي من جهة ، كما يضم النموذج المعرفي التقليدي إسهامات الفكر السياسي الأوروبي (ميكافلي Machiavel و هوبز Hobbes) من جهة أخرى .
يتأسس النموذج المعرفي التقليدي من مقدمات عقائدية ، ميتافيزيقية و أخلاقية للوصول إلى تحليل فلسفي (ما يجب أن يكون) لموضوعات العلاقات الدولية .

يمكن القول أن النموذج المعرفي التقليدي يتضمن جملة من المبادئ ن القيم و المثل التي يؤمن بها دعاؤها ، فحاولوا أن يقيموا نظاما دوليا يتوافق مع تلك المثل و القيم⁽¹⁰⁾ و من أبرزها "الإنسانية" و "الأممية"
*المنظور المثالي : يندرج تحت النموذج المعرفي التقليدي ، أول منظورا يتعلق بحقل العلاقات الدولية ،ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، على أمل وضع ميكانيزمات تحول دون وقوع الإنسانية في حرب مدمرة أخرى .
تقوم فرضيات المنظور المثالي على أن :- شخصية الدولة هي انعكاس لشخصية الأفراد .
-الاعتقاد الجازم بحتمية انتشار المؤسسات الديمقراطية .

-التجانس الكامل في المصالح بين الشعوب .

-الأساس الرشيد للسلوك الإنساني⁽¹¹⁾ .

إذا كان المنظور بنائيا يستند إلى نموذج معرفي في استقاء الإطار المعرفي و الأنطولوجي ، فإن المنظور المثالي اهتم بدراسة القانون الدولي و المنظمات الدولية ، مقدما تفسيرات حول أسباب قيام الحرب العالمية الأولى و التي يجملها في عدم التفاهم بين الدول ، وعليه ، فقد رفض المنظور المثالي مبدأ توازن القوى و المعاهدات السرية للحلفاء ومبدأ استخدام القوة في الشؤون الدولية .

لقد تبين كل من "إيمانويل كانط" Emmanuel Kant و "وودرو ويلسون" Woodrow Wilson أنكار المنظور المثالي ، حيث يمثل "مشروع السلام الدائم " الأساس الفكري للمنظور المثالي في تفسير العلاقات الدولية ، إذ تضمن ست مواد تمهيدية تعبر عن الشروط السلبية للسلام ، وثلاث مواد نمائية تمثل الشروط الإيجابية للسلام الدائم⁽¹²⁾ .

تمثل المبادئ الأربعة عشر ل"وودرو ويلسون " تصورات الأمريكيين بنشر حلم أمريكي بواقع عالمي سعيد ينعم بالتقدم والرفاهية و السلام ، لقد كانوا يرون أنه بالإمكان حل كافة المشكلات العالمية استنادا إلى مبادئ قانونية⁽¹³⁾ .

لقد حاول "ويلسون" ترجمة هذه التصورات إلى مبتدئ تضمنها خطابه في 8 جانفي 1918 والذي شرح من خلاله النقاط الأربعة عشر من أجل السلام العالمي⁽¹⁴⁾.

تمثل وقائع الحرب العالمية الثانية أول جدال بين المنظور المثالي و المنظور الواقعي داخل النموذج المعرفي التقليدي ، إذ أبدى المنظور المثالي قصورا نظريا تحت وطأة الحرب الثانية فضلا عن عدم انتشار الديمقراطية زوال نظرية الأمن الجماعي تناقض في المصالح و ظهور الأنظمة الشمولية .

لقد أدت هذه الوقائع بالكثير من دارسي منظورات علم العلاقات الدولية لدراسة القوة في بعدها المادي⁽¹⁵⁾ .
تمثل دراسة "إدوارد هاليت كار" **"Edward Haleet Kaar"** و المتمثلة في "أزمة العشرين سنة " والتي من خلالها يمكن أن نستشف الجدال بين المنظر المثالي و المنظور الواقعي .
يوجه "كار" نقدا للمنظور المثالي على عدة مستويات :⁽¹⁶⁾.

المستوى الأول : اهتم المنظور المثالي في منهجيته بالتركيز الرؤية الفلسفية (ما يجب أن يكون " في فهم و تفسير حالة الحرب العالمية الأولى ، و أن الأسباب الرئيسية لسلوك الدولة تدور حول اعتبارات القوة و المصلحة القومية بدلا من الأخلاق و النزعة العالمية .

*المنظور الواقعي : إذا كان المنظور المثالي يستمد قاعدته النظرية من فلسفة الأنوار التي تركز على الأخلاق والتجانس في المصالح ، فإن المنظور الواقعي يركز على اعتبار الصراع على القوة دافع غريزي كامن في الطبيعة البشرية .

يقوم المنظور الواقعي من الناحية البنائية على مستويين :
المستوى المنهجي : حيث التركيز على المقاربة التجريبية ، بمعنى الاستناد إلى الواقع في تحقيق فهم دقيق للسياسة العالمية و بالتالي متطلبات سلوك الدولة مرتبط بمدى فهم لمحددات الواقع الدولي .
المستوى المعرفي : يعتبر المنظور الواقعي :-الدولة ذات مستوى ووحدة تحليل مركزية في اللعبة الدولية.

-الفصل الثام بين الأخلاق و السياسة .

-تعد النظرية السياسية نتاجا لتجارب تاريخية .

-تناقض المصالح مما يؤدي لصراعية العلاقات الدولية .

-فوضوية النظام الدولي بسبب غياب سلطة مركزية تحتكر القوة.

يمكن القول في الخير أن النموذج المعرفي التقليدي بمنظوريه (المثالي و الواقعي) يعتمد مناهجيا على الفلسفة والتاريخ و القانون في عملية التنظير الدولي ، كما أنهم اهتموا بدراسة موضوع العلاقات الدولية أكثر من المنهج .

*الجدال بين النموذج المعرفي التقليدي و النموذج المعرفي السلوكي :

يعتمد النموذج المعرفي التقليدي على الأنماط التاريخية ، فهو يمثل مدخلا تاريخيا استنباطيا في صياغته للمنظورات (الرؤية الميتافيزيقية) في حين أن النموذج المعرفي السلوكي ينطلق من التجريب الاستقرائي لإيجاد قوانين عامة تحكم سلوك الدول جميعا .

ب- النموذج المعرفي السلوكي:

يقوم النموذج المعرفي السلوكي مناهجيا على إيلاء الاهتمام بسلوك الفرد أكثر من النظام⁽¹⁷⁾ (الهيكلي) .

لقد نقل النموذج المعرفي السلوكي وحدة التحليل من المؤسسة/الهيكلي (الدولة) إلى الفرد لسبيين :

أولا :اعتبار الإنسان مركز الكون .

ثانيا :تفاعل الإنسان في الإطار الاجتماعي يجعل سلوكه لا يختلف عن سلوكيات الأفراد .

حدد "ديفيد إيستون" David Easton مرتكزات النموذج المعرفي السلوكي في (18) في :

الانتظام/الإثبات/التكميم و القياس /القيم/الاتساق/العلم/البحث/التكامل و استخدامات الأساليب الفنية
يندرج تحت النموذج المعرفي السلوكي مجموعة من المنظورات حاولت تفسير العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب
العالمية الثانية و ظهور مجموعة من التحديات قم بالدرجة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية.
تنقسم منظورات النموذج المعرفي السلوكي إلى :

-منظورات كلية :تعد محاولات كل من "كابلان Kaplan ، سينجر Singer محاولات نظرية لصياغة منظورات
كلية و شاملة تفسر العلاقات الدولية (محاولة التحكم في نظام التوازن الدولي من خلال نماذج نظرية،دراسة العلاقة
بين الأحلاف العسكرية و قيام الحرب 1815-1945).

-منظورات جزئية : لقد واجه أصحاب المنظورات الكلية عدة انتقادات لمنظوراهم بسبب عدم القدرة على حصر
الظاهرة الدولية و تعقيداتها مما أعطى المبرر لقيام منظورات جزئية اهتمت بمجالات وقضايا تأثير العوامل الجغرافية :
"هارولد" و "مارجريت" "سبروت" ، "H and M , Sproot" .

الوظيفية : "ديفيد ميتراني" "David, Mitrani"

التكامل الإقليمي : "أرنست هاز" "Ernest, Haas"

الردع النووي : "برنارد برودي" "Bernard, Broudi"

الاعتماد المتبادل : ناي و كيوهن "Nye Jr, و Keohane"

الديمقراطية و السلام : "ميكائيل دولي" "Michael Doli"

النظام الدولي : "جون روجي" "John Roger"

السلوك التفاوضي : "توماس سكلين" "Thomas syklin".

يركز أصحاب المنظورات الجزئية على استخدام أدوات التحليل الكمي و محاولة رصد حالة الانتظام على مستوى
النشاطات السياسية الدولية المؤدية لحالة من الوثوقية في التنبؤ بسلوكيات الدول .

ج - النموذج المعرفي ما بعد السلوكي لقد تزامن النموذج المعرفي السلوكي بمشروع الحداثة الذي عرفه العالم الغربي
و الذي تميز بمحاولة الوصول إلى الحقيقة من خلال تزايد درجة الوثوقية ، و محاولة تعميم الأدوات المنهجية
المستخدمة في إطار الثورة السلوكية ، غير أن المآزق التي تعرض لها المشروع الحداثي الغربي على المستوى المعرفي
و المنهجي ، جعل النموذج المعرفي السلوكي في انتكاسة يمكن التعبير عليها من خلال مجموعة من المتغيرات :

-تأثير العامل الإيديولوجي و السياسي /الزعة السكونية في التحليل /الارتباك و فقدان التوازن /عدم ملائمة التكميم
و التكرارات لفهم العلاقات الدولية /تجاهل دور القيم و فشل النموذج المعرفي السلوكي في إزالة النموذج معرفي
السابق (التقليدي) .

مقومات النموذج المعرفي ما بعد السلوكي :يحصص "ديفيد إيستون" ركائز النموذج المعرفي ما بعد السلوكي (19) في:

أولوية المضمون على التقنية في البحث السياسي /التركيز التغير الاجتماعي في علم السياسة المعاصر /التركيز على
الواقع السياسي المعاش /إعادة الاعتبار للجانب القيمي و الأخلاقي /الربط بين الفكر والحركة في علم السياسة .

يندرج تحت النموذج المعرفي ما بعد السلوكي ، مجموعة من المنظورات التي ترى بتعدد الفواعل على مستوى العلاقات الدولية ، انتقال الاهتمام الموضوعاتي من المتغيرات ذات الأبعاد الأمنية - الإستراتيجية إلى موضوعات الاقتصاد السياسي الدولي و بروز التكتلات الدولية و الاعتماد المتبادل كمخرجات لهذه المنظورات (المنظور الليبرالي والليبرالي الجديد) .

يوضح "فريد هاليداي" "Fred, Haliday" جدلية النموذج المعرفي السلوكي و ما بعد السلوكي ، فيعبر عن اقتناعه بأن المنطلقات المنهجية للنموذج المعرفي السلوكي يمثل نظرة صارمة للعلوم والاجتماعية والإنسانية، وأن كل ما يتعلق بالتحديد الكمي و الفرضيات الدقيقة يقع ضمن الوهم و العقم ، ويمكن الحديث بالمقابل على علوم إنسانية أكثر مقارنة و تاريخية ، بمعنى لا تراح فيها الأحكام الكيفية و قضايا القيم تحت السجادة، و إنما تطرح صراحة وتخضع للعقل و النقد و النقاش⁽²⁰⁾.

يرى البعض⁽²¹⁾ أن النموذج المعرفي ما بعد السلوكي لا يمثل قطيعة معرفية مع النموذج المعرفي السلوكي ، إذ أن هذه النماذج المعرفية تتقاطع في المنطلقات الوضعية ذات الخلفية الأنطولوجية الغريبة .

II- أزمة منظورات علم العلاقات الدولية .

ارتبطت نهاية الحرب الباردة باضطراب على مستوى منظورات العلاقات الدولية إذ يمكن ملاحظة ذلك على مستويين : المستوى الأول :لقد أدت هذا الاضطراب في النظريات لعدم القدرة على تبني منظور قادر على قراءة الواقع الدولي والذي تميز بعمق و كثافة التحولات ، إلى درجة ذهاب البعض لاعتبار تلك الفترة بمرحلة انتقالية ، و قد عير عنها نظرياً ب"مرحلة ما بعد الدولية"⁽²²⁾ في إشارة لعدم نضج هذه التحولات ، حتى تؤدي لمنظور جديد ، حيث يمكن التعامل معها وفق منظور الاضطراب .

المستوى الثاني : يناقش هذا المستوى عجز النظرية في أحد أهم وظائفها "التنبؤ" ، فالتحولات الحاصلة في الفترة ما بين 1989-1991 ، جعلت وظيفة "التنبؤ" ضمن اهتمامات و تساؤلات البعض⁽²³⁾ من جهة ، أم أنه يمكن التراجع عن هذه الوظيفة في إطار استخدامات النظرية⁽²⁴⁾.

لم تكن فقط إشكالية "التنبؤ" محل اهتمام منظري العلاقات الدولية ، بل تعدى الأمر ليشمل قدرات النظرية بخصوص التفسير ، إذ لم تحقق - تفسيرات المنظورات النظرية التقليدية - الرضا و الإشباع المنتظرين من المهتمين ، بخصوص الإجابة في أسباب تراجع الإتحاد السوفيتي ، و زوال الشيوعية . يقابل كل ذلك ، ظهور مجموعة من التحديات ، فرضت نفسها و تمثل في عودة المتغيرات الرمزية ، الأخلاقية وقضايا حقوق الإنسان ، مما يستدعي عملية تجديد للمنظورات بما يتوافق مع طبيعة التحولات الحاصلة على مستوى الواقع الدولي.

تقع عملية المراجعة النظرية لعلم العلاقات الدولية من خلال الدعوة للإصلاح الداخلي للمنظورات، من خلال تقديم الحجج التالية :

-لقد جعلت النظرية من "التنبؤ" هدفاً أساسياً، و بالتالي عدم القدرة على تحقيق هذا الهدف ، يجعل النظرية تعجز عن تحقيق ما وضعته من هدف أساسي لديومتها و فعاليتها .

-لقد جاءت نهاية الحرب الباردة ، بقدر لا يمكن معه الفشل في توقع قدومها⁽²⁵⁾ ، و بالتالي كان لزاماً إعادة النظر في (المناهج) طرق تفسير المنظورات التقليدية لبعض الأحداث الدولية.

الاتجاه الأول : يرى أن النقد يشمل كافة منظورات حقل العلاقات الدولية ، و ذلك من خلال نموذجين :

*النموذج الأول : الاتجاه الجدلي في توليفة نيو-نيو(الواقعية/الليبرالية)

يرى هذا النموذج أن عملية الإصلاح النظري ، تستدعي مناقشة فروض المنظورات الكلاسيكية لحقل العلاقات الدولية وتقديم انتقادات لمنظورات بعينها ، حيث إن الإقرار بعدم قدرة النظرية على التنبؤ- في إشارة إلى منظورات الحقل الكلاسيكية- لا يعني إفلاس حقل العلاقات الدولية ، و أن طبيعة هذا النقد يحمل "التضليل"⁽²⁶⁾.

إذا كان التسليم بأن الواقعية و الواقعية الجديدة غير قادرتين على التعامل مع أحداث نهاية الحرب الباردة (افتراضات الواقعية الجديدة بتناسق العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفيتي سابقا، والإهمال في نفس الوقت لتأثير العوامل الداخلية على التحولات الدولية) .

فعلى الرغم من هذا القصور ، إلا أنه ليست هناك حاجة لتغيير جذري لمنظورات التقليدية لحقل العلاقات الدولية ، بل يتعلق الأمر بإدخال "تعديلات ضرورية على مستوى فروضها تستجيب تفسيريا لطبيعة المرحلة الجديدة". تقوم الليبرالية الجديدة على افتراض أن الديمقراطية العالمية التي سادت المرحلة الجديدة هي بمثابة التعبير الملائم مع طبيعة تلك التحولات .

لقد أدت طبيعة التحولات العالمية بالتنظير الدولي إلى الإقرار بوجود قصور على مستوى نظرية بعينها ،

و يتعلق الأمر بالمنظور الواقعي ، إذ واجه هذا المنظور الانتقادات التالية⁽²⁷⁾ ، من خلال أدبيات تتفق على :

**ارتباك في المسلمات الكبرى للعلاقات الدولية : لقد أدت الأجندة المتسارعة للأحداث و القضايا الدولية لعالم ما بعد الحرب الباردة ، إلى عدم القدرة على التكيف مع المسلمات التقليدية للمنظور الواقعي (الطبيعة الإنسانية ، القوة ، المصلحة ، توازن القوى ،...).

**الشك في القدرة الوصفية للمنظور الواقعي : لم يستطع المنظور الواقعي تقديم وصف دقيق للواقع الدولي بعد 1989 ، الذي يمثل تحولا يستدعي الوصف الدقيق .

*محدودية القدرة التفسيرية للمنظور الواقعي : فعلى الرغم من هيمنة المنظور الواقعي في تقديم رؤى تفسيرية على مدار خمسين سنة (من 1939-1989) ، إلا أنه أخفق في تقديم تفسيرات للكيفية التي انتهت بها الحرب الباردة.

*عدم قدرة المنظور الواقعي على تقديم توصيات بإتباع سياسات معينة ، إذا كان المنظور الواقعي قد استطاع تقديم تنبؤات في مرحلة الحرب الباردة ، فإن المطلوب بالأساس هو تزويد صناع القرار بإتباع توصيات يمكن ترجمتها لسياسات معينة؛ و في نفس الوقت، عدم تقديم توصيات يعد إخلالا بأحد المهام الأربع للنظرية: الوصف، التفسير ، التنبؤ و التوصيات .

*النموذج الثاني : يرى النموذج الثاني أن التعديل المطلوب لا يشمل نظرية بعينها (المنظور الواقعي) بل يتعلق الأمر بمناقشة مقولات كافة منظورات العلاقات الدولية ؛ و ذلك من خلال دراسة المناظرات بين النماذج المعرفية لعلم العلاقات الدولية .

كما عرفت أدبيات العلوم السياسية ، من الناحية المنهجية ، مجموعة من الإقترابات(الاقتراب السلوكي ، الاقتراب الميكلي و الاقتراب التطوري) حاولت من خلالها بناء نظرية عامة يعتد بها في التحليل السياسي من جهة ، وتصنف ضمن ردود الفعل النظرية ضد "هانز مورغانتو" الذي حاول بناء نظرية متكاملة لتفسير العلاقات الدولية بناء على متغيرة "القوة" .

عرف النموذج الثاني وجود مستويين للتعبير عن ضرورة الإصلاح النظري لكن دون الحاجة للبحث عن منظور جديد.

1-المستوى الأول : والذي يعتمد على دراسة "جون لويس قادييس" حيث يستعرض في مقالته "نظرية العلاقات الدولية و نهاية الحرب الباردة":

أ-الأسس المنهجية للإقترابات في تحليل العلاقات الدولية

لقد وضعت هذه الإقترابات وظيفة "التنبؤ" ضمن الأهداف الكبرى لخريطتها النظرية ، و من ثم بناء نظري يتوافق مع مستجدات الواقع الدولي .

*الاقترب السلوكي: ينطلق الاقترب السلوكي من اعتبار أن علم السياسة، لن يكتسب صفة اليقين و الدقة العلمية، ما لم يستند بالعلوم الطبيعية و علم الأحياء و البيولوجيا، حيث تشير بحوث "واطسون" "Watson" حول النتائج التي حققها علم النفس و تأثيرها على قيام المدرسة و بالتالي علم السياسة من خلال أعمال "شارلز ميريام" (28).

لقد وظف السلوكيون أساليب التحليل الكمي ، فأصبحت الظواهر الإنسانية قابلة للقياس ، فتم تخلص العلم من العاطفة ، و التناقض و توصلوا لتعميمات حول الظاهرة السياسية عامة و العلاقات الدولية خصوصا .

غير أن الاقترب السلوكي ، لم يستطع تحقيق هدفه المتمثل في تحقيق "تنبؤات" بخصوص تطورات الظاهرة السياسية في المستقبل ، بسبب إخضاع ظواهر الإنسان للقياس ، في حين أن هناك مؤثرات إنسانية (الشعور و مختلف الآثار النفسية) غير القابلة للقياس ، و لا يمكن ضبطها بلغة الكم؛ كما تضيف "بمئي ظريف الخولي" أن السلوكية تعاني قصورا "بحول دون عبور ها إلى المرحلة التفسيرية ، معتبرة -الاستسلام الكامل للمعطى التجريبي ، تفتيت موضوع الدراسة إلى ذرات ، و إغفالها للطبائع التكاملية للكيانات الإنسانية" (29) فمن أهم الانتقادات الموجهة لهذا الاقترب

*الاقترب الهيكلية: (30) ينطلق أنصار هذا الاقترب من افتراض توصل إليه العلم في القرن العشرين ، مفاده أن الهياكل غير القابلة للملاحظة تنتج أثارا يمكن ملاحظتها و قياسها .

يعتبر الهيكليون "النظم الدولية" بمثابة الهياكل ، فلا تترأى للعيان و لا يمكن قياسها أو وصفها بدقة ، لكنها موجودة، عن طريق تجميع أدلة توحى بوجودها (تفاعل ، تحالف ، ...) كما أن الزمن يعد عاملا مبرهنا عليها من خلال الأحداث .

لقد اعتمد الهيكليون على "الإستاتيكا" كمحدد لفهم و تحليل طبيعة عمل النظم الدولية ، و في ذلك تجاهل لطبيعة التغيرات المفاجئة و التي تعد جوهرية بالنسبة له النظم .

*الاقترب التطوري: (31) و الذي يمزج بين الإقترايين (السلوكي و الهيكلية) غير أن الاقترب التطوري يولي اهتماما لعامل الزمن في تقديم تفسيرات للظاهرة الدولية .

لقد استطاعت أدبيات العلاقات الدولية (صعود و هبوط القوى الكبرى) -بتوظيف الاقترب التطوري- من تقديم إجابات حول تحولات في بنية النظام الدولي ، حيث تم استخدام النموذج الدائري في إشارة لإمكانية إسقاط للسلوكيات التاريخية الدول على السلوكيات المستقبلية (التشابه بين توظيفات القوة في الإمبراطورية الرومانية وتلك المستخدمة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية) .

إذا كان أنصار التطور الخطي يعتبرون أن التاريخ لا يعيد نفسه ، بل يرسم خطا مستقيما نحو المستقبل ويمكن من خلال ذلك الخط التوصل لعملية التنبؤ ، و ذلك عن طريق حساب تواصل مسار توجه تاريخي معين (نزايدي تنامي القوة الصينية مثلا)؛ يعبر التطوريون في نفس الوقت ، على أن مسار التاريخ قد يأخذ الاتجاهين (الماضي و الحاضر) و بالتالي إمكانية تحديد المستقبل عن طريق تكرار حوادث ماضية ، تمتد أثارا لهذا المستقبل .

لم يستطع أنصار التطور الخطي تطوير نظرية عامة ، لـ :
-استتار الظواهر التاريخية (نهاية الحرب الباردة) ، و أن ظهورها ارتبط بوجود أزمة تنظير يشهها حقل العلاقات الدولية ، تلك الأزمة استدعت ثورة على مستوى الأسس المنهجية للنظرية التقليدية(المنظور الواقعي أساسا) التي تعتمد على التطور الخطي .

أما المنظور الليبرالي الذي يعتمد أصحابه على توظيف الاقتراب التطوري ، فقد استطاعوا الربط بين الانتقال من الأشكال السلطوية و لجوئها للحرب من جهة و الأشكال الديمقراطية و السلام من جهة أخرى إلا أنهم لم يستطيعوا التنبؤ بنهاية الحرب الباردة ، و اكتفوا بالقول أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تعرف انغيارا تدريجيا في بداية القرن الواحد و العشرين ، و لا يمكنها الإبقاء على الهيمنة .

2-المستوى الثاني : إذا كان المستوى الأول ينطلق من اعتبار أن نهاية الحرب الباردة تمثل تحديا نظريا ، لم تستطع المنظورات التقليدية القيام بوظيفة التنبؤ ، فإن المستوى الثاني يقر أن نفس المنظورات عجزت عن إدراك لطبيعة التحولات حتى بعد وقوعها ، بمعنى أن الفروض الأساسية لهذه المنظورات لا يمكنها تفسير الواقع الدولي ، و عليه ، يعد الواقع (التحول) هو المعيار لإثبات قدرة النظريات .

يقدم كل من "توماس رايس" Thomas , Risse و "ريتشارد ناد ليو" Richard, Ned Lebow رؤية يجمل فيها مجمل الانتقادات الموجهة لمنظورات العلاقات الدولية⁽³²⁾ :

*تصنيف الأحداث الدولية المصاحبة للمرحلة الجديدة " بالمفاجئة" لقد مثلت مجموعة من الأحداث مثل : التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة ، التوافق بين المنظومة الغربية و الشرقية ، مفاجئة عجزت عن التنبؤ بما كل المنظورات التقليدية لحقل العلاقات الدولية (الواقعية ، الليبرالية و البرالية المؤسسية) ، بل أن هذه الأدبيات واصلت في افتراض استمرار نظام الثنائية القطبية لفترات مستقبلية ؛ و إن تم الافتراض على نشوب حرب ، فإنها تكون بين القوى العظمى بحسب افتراضات المنظور الواقعي .

*الفشل في إدراك إمكانية "نهاية الحرب الباردة": يكمن الفشل أيضا ، في عدم قدرة منظورات العلاقات الدولية على تحصيل مدركات توحى بإمكانية حدوث تغير /تحول في العلاقات الدولية بعد 1989 .

*تغيب "مفاهيم" مسؤولة عن تفسير طبيعة التحولات : لقد ذهب كل من "توماس رايس و "ريتشارد ناد ليو" جورج كينان" George Kennan ، "هنري كيسنجر" Henri , Kissinger و "جون لويس قاديس" John Lewis Gaddis ، إلى اعتبار أن عملية التنظير التقليدي قد أهملت بعض "المفاهيم المفتاحية "

والمسؤولة تفسيريا عن طبيعة التحول ، حيث يمكن الإشارة إلى:

- تأثير عملية التفاعل بين المؤثرات المحلية والدولية "External /Internal Effects" على سلوك الدولة .

-دور الأفكار و القيم⁽³³⁾ .

على الرغم من بروز هذه المفاهيم و تجدد ظهورها كمتغيرات مسؤولة عن تفسير الواقع الدولي (تفسير طبيعة التحولات الحاصلة على مستوى النظام الدولي) ، إلا أنه لا يمكن الجزم على القصور النهائي للمنظورات السائدة ، بل يتعلق الأمر -في هذا المستوى الثاني - بالافتقار بتزويد ذات المنظورات ب"مقتربات " أكثر تعقيدا بهدف تفسير هذه التحولات .

إذا كان مرد التراجع المفاجئ للإتحاد السوفيتي سابقا عن إدارة الشؤون الدولية في تلك الفترة إل عاملين هما⁽³⁴⁾:

— الأزمة الاقتصادية السوفيتية في بداية الثمانينيات: الناشئة عن تزايد حجم الأعباء السوفيتية نتيجة إتحاطه في دول أوروبا الشرقية ضمن منظومة الشيوعية .

— نظام الردع النووي الروسي ، مما أدى بتراجع قوة عظمى في العلاقات الدولية، و بهذا الشكل المفاجئ .
كان يمكن للإتحاد السوفيتي سابقا تجنب مثل هذا التراجع ، لو اتخذ إصلاحات اقتصادية بصورة تدريجية ، حيث أن الصين قد خضعت — بصورة تقريبية — لنفس المؤثرات الخارجية التي عرفها الإتحاد السوفيتي سابقا ، فالتحول الجذري في سياسة " غورباتشوف " "Gorbachev" يجعلنا نسلم بعدم قدرة المنظور الواقعي على تقديم إجابات حول الخيارات التي يمكن أن يتخذها السوقيات و بالتالي عدم القدرة على التنبؤ.

كما يمكن التأكيد على أن كل من المنظور الواقعي و المنظور الليبرالي يصنفان في نفس الدرجة من القدرة التفسيرية ، فإذا كان المنظور الليبرالي يتضمن في أدبياته علاقة بين الديمقراطية و اقتصاد السوق ، و أن الإتحاد السوفيتي قد نما نحو هذه العلاقة ، و بالتالي التسليم بقدرة هذا المنظور على تقديم تفسيرات متوافقة مع طبيعة التحول .
يمكن توجيه سؤال لهذا المنظور حول الوقت الدقيق لكيفية التحول ، لماذا التحول في منتصف الثمانينات ، لماذا ليس بعد عشرين سنة ؟.

لقد واجهت السياسة الخارجية السوفيتية في تلك المرحلة بيئة دولية مليئة بالأفكار عن الحرية ، الديمقراطية ، حقوق الإنسان و اقتصاد السوق ، و أن عملية إهمال هذه التأثيرات يجعل موسكو أكثر عزلة و غير قادرة على مواجهة على المدى البعيد .

لقد أدى استعراض الاتجاهات التي تناولت عملية التنظير في حقل العلاقات الدولية (الجزئي أو الكلي) إلى تكوين رؤية حول مكان ضعف العملية النظرية (عدم القدرة على التنبؤ) .

إن التوصل لاقتناع يقضي بوجود قصور نظري معناه الاتفاق على مجموعة من النقاط ، تتمثل في :

— إتباع المناهج التقليدية للعلوم الطبيعية : يعتمد المهتمون العلوم الاجتماعية — بهدف الوصول للموضوعية والدقة — إلى الاستناد بالعلوم الطبيعية و البيولوجيا ، غير أنه في نفس الوقت ، بدأ الحديث عن توجهات جديدة ، لاقت الاهتمام لدى أصحاب لدى الفيزيائيين ، بعدما لاحظوا التفاوت بين النظرية و الواقع ، فأصبح الحديث عن التخلي عن المناهج التقليدية لصالح مناهج جديدة أقل حتمية ، أقل انتظاما و غير تنبؤية ، و هي نفس التحديات التي طالما علماء الاجتماع حاولوا التخلص منها.

— تميش التاريخ : لقد تعرضت العديد من الطروحات التاريخية لانتقادات حول : عدم القدرة على تحقيق الموضوعية في الكتابات التاريخية ، التحيز ، عدم التوصل لاتفاق حول معايير مشتركة لقياس الظواهر و الفشل في بناء نماذج نتيجة التركيز على الوصف و إهمال الكم .

يرى "قاديس"⁽³⁵⁾ أن المناهج التي تدعي "العلمية" تقع في نفس الدرجة من القصور ، وبالتالي ، فالمناهج العلمي الصحيح هو المناهج الذي يحتوي على منطلقات للحوار عبر الحقول المعرفية التي تتضمنها كل من العلوم الطبيعية ، الاجتماعية و التاريخية ، " Interdisciplinaire " .

— محاولة التحرر من القيم : تعتبر محاولة التحرر من القيم سببا من أسباب القصور النظري التي تعاني منه المنظورات التقليدية لحقل العلاقات الدولية .

— الاهتمام بمستويات النظام الدولي و إهمال المتغيرات الداخلية : يرجع "توماس رايس ، كابن" سبب فشل منظورات العلاقات الدولية ، لإهمال المؤثرات الداخلية (دور الأفكار ، المعارف و القيم ،...).

يعد المنظور الواقعي أحسن مثالا لتبيان درجة إهمال المتغيرات الداخلية في تقديم تفسيرات لظواهر العلاقات الدولية ، و التركيز فقط على قدرة العوامل العسكرية - السياسية في الاحتفاظ بتوازن القوى ، في الوقت الذي لم تحظ فيه التأثيرات الداخلية السوفيتية بأي من لدن رواد هذا المنظور .

استدعت عملية الإصلاح النظري ، فرض منهجية جديدة في تقوم تقديم تفسيرات - من داخل المنظورات التقليدية لحقل العلاقات الدولية - تكون أكثر مصداقية بخصوص الواقع الدولي ، وذلك من خلال :

أولا : التوليف بين المنظورات القائمة : يؤكد أصحاب النقد الجزئي الموجه للمنظور الواقعي ، انه على الرغم من إقرار فشل هذا المنظور في تحقيق التنبؤ بنهاية الحرب الباردة ، إلا أن ذلك لا يعني ضرورة اختفاء المنظور الواقعي من دائرة النظريات بل يتعلق الأمر بالبحث عن توليفات بين منظورات مختلفة تنتمي لنفس الحقل "كوليفة نيو-نيو" (الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة) بحجة أن تاريخ التطور في العلاقات الدولية قد عرف عدة تآلفات على المستوى المنهجي، بين التقليديين والسلوكيين ، بهدف الوصول لتعزيز قدرات التفسير و التنبؤ لا يمكن لأي من المنظورات القيام بها بمفرده.

لقد اتضح من جهة و بعد توجيه النقد الكلي لمنظورات علم العلاقات الدولية ، على ضرورة تبني مداخل منهجية جديدة ، أكثر مرونة واستجابة لطبيعة الواقع المتغيرة ، فيكون توظيف كما يرى "جون لويس قاديس" (36) الأدوات المستقاة من العلوم الطبيعية (الملاحظة ، التجربة ، محال صياغة قانون ، استخدام الأساليب الكمية) من جهة ، والاستعانة بأساليب الحدس ، التخيل و التناظر ، فيما أن علماء الطبيعيات ، لم يستطعوا التوصل لنموذج دقيقة للواقع المادي ، كذلك منظورات العلاقات الدولية لم تستطع التوصل لتحقيق هذا الهدف ، غير أنه لا يفهم من هذا التقابل بين العلوم الطبيعية العلوم الاجتماعية أن منظورات علم العلاقات الدولية ، تستدعي الإزالة ، بل يتعلق الأمر بالبحث عن أساليب منهجية جديدة كالتوليف بين المنظورات ، حيث أن علم التاريخ ، أصبح يستخدم كل الأدوات النظرية المتاحة لبلوغ الدقة.

ثانيا : الاهتمام النظري بالموثرات الجديدة للواقع الدولي : لقد ساهمت البيئة الجديدة لعالم ما بعد الحرب الباردة في ظهور مستويات جديدة ، لم تستطع المنظورات التقليدية الإحاطة بها كالعلاقة بين الداخل والخارج ، دور الأفكار، القيم ، الدين و الهوية (37)

لقد جلبت هذه المستويات الجديدة انتباه منظري العلاقات الدولية يمكن تقسيم هذه الأدبيات إلى :
- أدبيات تنادي بضرورة تزويد المنظورات التقليدية بفروض جديد بهدف التكيف النظري مع طبيعة التحولات الجديدة ، حيث يتم إعطاء الاهتمام لدور الأفكار الهويات و تزايد تأثير العوامل الداخلية على الخارجية ، فكانت النتيجة أن المنظورات التقليدية (الواقعية ، الليبرالية و الماركسية) بحاجة لإقتراعات جديدة (أكثر تعقيدا) تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرحلة الجديدة في إطار جدلية النظرية مع الواقع و الوصول للدقة العلمية .

- أدبيات ترى بضرورة الاستنجاح بمقول معرفية أخرى ، فمع تزايد دور القيم و الثقافة و الدين في التأثير على سلوكيات الأفراد السياسية (38) ، تولدت الحاجة النظرية لعلم السياسة للاستعانة بعلم الاجتماع ، فبدأ الاهتمام بالدراسات المؤسسية (البنية) بمعنى تأثير البنى الاجتماعية بما تتضمنه من قوالب ثقافية و دينية على العلاقات الدولية .

III - المراجعة الخارجية للمنظورات (التغير) أدت جدلية النظرية والواقع في علم العلاقات الدولية لعدم قدرة النظرية على التكيف مع الواقع الدولي الذي يتصف بالتغير ، مما سمح بظهور دعوات لمراجعة الإطار النظري لعلم العلاقات الدولية من خلال تقديم نقد جزئي أو كلي لمنظورات العلم.

كما تبلورت في نفس الوقت دعوة جديدة لنقض حالة المراجعة الداخلية لمنظورات علم العلاقات الدولية من خلال النقاش بين أنصار المراجعة الداخلية (الدعوة إلى تعزيز النظريات من خلال فروض جديدة) و المراجعة الخارجية (الدعوة إلى نقض التنظير السائد و الدعوة لمنظور جديد).

تندرج الأعمال النظرية لأصحاب المراجعة الداخلية ضمن اقتراحات على مستوى تعديل المناهج و النظريات (دراسات كل من "قاديس"، "Gaddis J,L"، "جيمس لي راي" James , Lee Ray ، "شارل كيغلي" "Charle Kegly"، في حين أن المراجعة الخارجية تنحى نحو مناقشة مرحلة "ما قبل المنهج" أي الأسس الوضعية التي يقوم عليها التنظير .

يمكن القول بناء على المراجعين أنه بالرغم من الاختلاف في آليات المراجعة ، إلا أن الاتفاق واردة بوجود موضوعات جديدة أفرزها الواقع الدولي بعد نهاية الحرب الباردة ، تستدعي الضرورة إلحاقها بالأجندة البحثية لعلم العلاقات الدولية ؛ حيث يتقاطع أصحاب المراجعين في إعادة توجيه التنظير للجوانب المعيارية كالدين ، الثقافة ، القيم ، الحضارة الرمزية، غير أنه تحكم الاتجاه الوضعي في المنطلقات المنهجية للعلوم الاجتماعية من خلال محاولة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على السلوك السياسي ، توصل أصحاب المراجعة الخارجية لاستنتاج أن الأسس الوضعية للعلوم الاجتماعية لا تستطيع الإحاطة بحملة المتغيرات الجديدة ، و بالتالي ، تعد هذه الأسس عرقلة في سبيل إنشاء تنظير حضاري جديد ، يولي أهمية للمتغيرات الجديدة و يقوم على منطلقات منهجية جديدة .

تستدعي عملية المراجعة الخارجية (الدعوة لبناء تنظير جديد) فك الارتباط⁽³⁹⁾ بين طبيعة التنظير الحالي المبني على رؤية "عرقية" "Eurocentrisme" و محاولة بناء منظورات تحت مسمى "التقارب بين الشرق والغرب، غير أن هذه المحاولة قد عرفت تراجعاً ، بسبب سيادة الهيمنة على كل محاولة بناء لمنظورات العلاقات الدولية تأخذ بلعين الاعتبار مرحلة ما بعد الاستعمار و إبعاد كل مظاهر التمييز العرقي في بناء النظرية.

تتطلب من جهة أخرى -عملية بناء منظور جديد مناقشة تأثير أسس الاتجاه الوضعي على علم العلاقات الدولية ، حيث تقود طبيعة هذه المناقشة إلى بلورة :

1- مناقشة تأثير الاتجاه الوضعي على علم العلاقات الدولية :

أ- نقض أساس الوضعية القائل بتحرر العلم من القيم : لقد أدت هيمنة مسلمات الاتجاه الوضعي على العلوم الاجتماعية في مرحلة الخمسينيات و الستينيات و السبعينيات ، إلى ظهور تحليل يقضي بإخضاع كل ممارسة اجتماعية إلى قانون ، غير أن مجموعة من التحولات السياسية في مرحلة بداية التسعينيات قد أفلكت من الرؤية المنهجية للوضعية ، مما أدى لظهور تصورات تقضي بطرح البديل النظري ، و ذلك بالاستناد إلى:

-مناقشة الأساس المنهجي الوضعي المتضمن "تحرر (العلوم الاجتماعية) من القيمة"⁽⁴⁰⁾ : فعلى الرغم من الحجج المقدمة من طرف الاتجاه الوضعي و التي مفادها أن تحرر العلم من القيمة ، يعد بمثابة ضمان للموضوعية و تحييد كل نزعة ذاتية ، خاصة على مستوى العلوم الإنسانية ؛ إلا أن "مسألة" إيمانويل والرستين "Emanuel Wallerstein" بخصوص الأسس المنهجية للمعرفة الاجتماعية ، تعد مدخلا لإعادة النظر في تراثها و تحدياتها ومنطقاتها النظرية .

صاغ "الرستين" خطاباً في 26 يوليو 1998 ، خطايا بمقتضاه، اعتبر أن العلوم الاجتماعية تواجه تحديات تتمثل في (38) : -التوحيد الإبيستمولوجي للعلوم : حيث أن العلوم اليوم تعاني من الإفراط مما يسميه "الرستين" : العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، حيث أن الفرض المزيد من التخصصات يؤدي إلى تضيق خبرات المتلقين و لا يؤدي بنا إلى ظهور شخصيات مثل "بارسونز" Talcott persons" أو "مورتن" Kaplan" Merton .

-بروز دراسات التعقيد : "complexity studies" و التي تأخذ بعين الاعتبار عامل "الزمن"، "الثقافة"، كعوامل أساسية لدراسة الظاهرة الإنسانية.

يمكن القول أن فصل القيم عن العلم يعد "تحيزا ذاتيا"⁽⁴¹⁾، بمعنى أن إعادة الاعتبار للتنظير القيمي، يكون عبر دحض الافتراض الذي يقوم عليه الاتجاه الوضعي أي فصل القيمة عن العلم؛ ثم أن الجدالات بين منظورات العلاقات الدولية (الواقعية، الليبرالية و الماركسية) هي دليل على حالة الأزمة التي يمر بها علم العلاقات الدولية.

VI- ميلاد المنظور الحضاري البديل

1- نحو عملية بناء نظري سليم : لقد قادت عملية مناقشة التنظير السائد سواء من المستوى المنهجي (الجدال بين المنظورات) وعدم قدرتها على التنبؤ بنهاية الحرب الباردة أو على مستوى المنظور السلطوي المتعلق بالتنبؤ بحالة التحول في المنطقة العربية إلى الإقرار ب:

أ-الاهتمام النظري "بالقيمة": يمكن القول أنه بنهاية الحر بالباردة، ظهر تحول نوعي⁽⁴²⁾ في عملية التنظير، إذ تم إدراج "القيمة" كمتغيرة أساسية في التنظير أو تناول قضايا وإشكالات قيمة.

لقد أدى هذا الاهتمام إلى بروز نوعين من التنظير :

-تنظير معياري : يأخذ "القيمة" ضمن المتغيرات الأساسية.

-تنظير غير معياري : يصطدم أصحاب هذا التصور بالسؤال التالي : هل يمكن تصور "بناء منهجي : ملاحظة، نظرية، قانون" لا يتضمن معايير أو يخلق قيما ؟

أن العلاقة بين الأبعاد المعيارية و غير المعيارية هي التي تحدد لنا إشكالية الأسس الوضعية في عملية التنظير في علم العلاقات الدولية، بمعنى أن ينطلق التصور النظري المعياري (بناء النظرية) من مسلمة وضعية (غير معيارية)، فكيف يتم البناء النظري المعياري على أسس غير معيارية، و عليه ما لم يتم إعادة النظر في المنطلقات الفلسفية المتعلقة بعلم العلاقات الدولية، فإن كل محاولة نظرية لبلورة "مفهوم القيمة" ستؤول لما يجب أن يكون، بمعنى استرجاع المنطلقات التقليدية في بناء النظرية.

ب- التوافق بين البعدين المعياري وغير المعياري في بناء النظرية: لقد تم التوصل إلى إمكانية التوفيق بين النظرية المعيارية و تلك غير المعيارية من خلال "تعددية المناهج" "multidisciplinary" وهذا ما عبرت عنه الأدبيات النظرية الغربية عن طريق توجيه النقد و القصور للأسس المعرفية الأمبريقية-الوضعية.

لقد بدأ الاهتمام بعلاج "الفجوة" في التنظير لعلم العلاقات الدولية، عن طريق تطوير منظورات دراسة العلوم الاجتماعية، تأخذ بعين الاعتبار "القيمة" كمتغيرة مركزية في عملية البناء.

لقد عرفت عملية استخدام "القيمة" في السياق الأكاديمي الغربي عدة تجاوزات، تتمثل في :

*الفصل بين القيمة و العلم: ينطلق هذا الفصل من قاعدة معرفية مفادها أنه كلما كان البحث متحررا من القيمة، كلما اتجه نحو العلمية.

يوحي هذا الفصل بين القيمة و العلم لتأثيرات الاتجاه الوضعي في بناء العلوم الإنسانية و الاجتماعية، غير أن المتمعن في ذلك التأثير يستنتج المضمون القيمي الخفي للوضعية على حد تعبير "نيفلد" "Neufled".

*التركيز على القيم المادية : اعتبار القيم المادية و القابلة للتكميم فقط كمتغيرات صالحة في تفسير الظواهر في حين أن القيم المعنوية يصعب الاستدلال عليها و بالتالي إسقاطها من الدراسة.

* الواقع أساس القيمة : القيمة الوحيدة التي يمكن الاحتكام إليها -ضمن التصورات الغربية- هي قيمة الواقع المادي ، فهو مصدر الظاهرة ، محركا للتنظير ، مقياس الصحة ، و معيار الدراسة المنهجية و العلمية .
يمكن القول في الأخير ، انه بناء على طبيعة التجاوزات المعرفية لمفهوم القيمة ، يمكن تأسيس منهجية بديلة تجعل من القيمة متغيرة محورية في بناء المنظورات في إطار العلوم الإنسانية كما تساهم عملية رد الاعتبار للقيم- في نفس الوقت من فتح مجالات للتنظير من خارج الدائرة الغربية التي طالما تطابقت في إطارها مراكز الهيمنة الغربية ومراكز صياغة الاتجاهات الفكرية و النظرية ؛ لصالح منظور حضاري يأخذ على عاتقه مهمة تفسير تفاعلات العلاقات الدولية مع بداية القرن الواحد والعشرين.

V- خلاصة و استنتاجات

يمكن القول في الأخير أن منظورات العلاقات الدولية ذات المنشأ الغربي قد تعرضت لأزمة منهجية بحسب "توماس كوهن" حيث لم تستطع القيام بالوظيفة التنبؤية إبان الحرب الباردة مما حدا بمجموعة من دارسي تلك المنظورات بالدعوة إلى إجراء عملية تفكيك لفرضيات المنظورات السائدة (الواقعية) غير أن قضايا عالم ما بعد الحرب الباردة رسخت اعتقاد الجماعة العلمية بعدم جدوى المنظور الواقعي و الدليل هو الجدل المنهجي المعبر عليه ب"توليفة :نيو/نيو" و التي أفضت إلى تراجع درجة الوثوقية في طبيعة المنظورات المهتمة بتفسير الشأن الدولي. لقد وجه دارسو نظرية العلاقات الدولية -المتنمين للدائرة الغربية- انتقادات للأساس الوضعي الذي باشره "أوجست كونت" في صياغته للعلوم الاجتماعية و الإنسانية في بداية عصر النهضة و بمقتضاه حاولت أدبيات تلك العلوم من إخضاع السلوك الإنساني للكم و محاولة فصل العلم عن القيم بهدف الوصول إلى اليقين .
تصب البناءات النظرية (علم العلاقات الدولية ، علم الاجتماع و علم النفس ،...) في إطار محاولة رصد سلوك الإنسان داخل معادلات رياضية و حسابية ، و إهمال الجانب الهوياتي ، الفلسفي و التاريخي و حتى الغيبي ، جعل كل هذه البناءات فاقدة لقدراتها التفسيرية و بدأت أصوات داخل المنظومة النظرية الغربية تدعو لإعادة الاعتبار لمعاني الهوية و الثقافة و القيم و بالتالي إعادة صياغة نماذج معرفية تأخذ في الحسبان هذه الأبعاد .
يقوم المنظور البديل التأسيلي على إعتبار القيمة هي المتغير المستقل في العملية البحثية لصياغة في الأخير منهجية بديلة للمنظومة المنهجية الغربية، تأخذ على عاتقها ملئ "الثغرة" و ذلك بتوظيف مصادر القرآن و السنة و تكوين رؤية بديلة للكون و الله و الإنسان تكون منطلقا منهجيا في تأصيل الكثير من الحقول المعرفية .

قائمة المراجع :

- (1) جان ، مينو ، مدخل لعلم السياسية ، تر: جورج يونس (بيروت : مكتبة الفكر الجامعي ، 1967) ص 51 .
- (2) السيد شتا ، علي ، نظرية علم الاجتماع (القاهرة : مكتبة الإشعاع الفنية ، 1998) ص 114 .
- (3) عادل ، ثابت ، النظرية السياسية الحديثة (القاهرة : مكتبة خوارزم ، 2002) ص 39 .
- (4) عادل ، ثابت ، مرجع سابق ، ص 41-42 .
- (5) صلاح ، قصوة ، الموضوعية في العلوم الإنسانية : عرض نقدي لمناهج البحث ، ط2 (بيروت : داور التنوير، 1984) ص 358-359 .
- (6) James, Dougherty, Robert ; Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations :A comprehensive Survey (Washington:Longman,2002)p10.
- (7) علي ، عودة العقابي ، العلاقات السياسية الدولية (طرابلس : الدار الجماهيرية ، 1998) ص 21 .

- (8) محمد نصر ، عارف ، نظريات السياسة المقارنة و منهجية دراسة النظم السياسية العربية (واشنطن : مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 1998) ص 190 .
- (9) إيمانويل ، كانط ، مشروع السلام الدائم ، تر: عثمان أمين (القاهرة : مكتبة الأنجلو-مصرية ، 1967) ص 45-37 .
- (10) ليلي ، مرسى ، أحمد وهبان ، حلف شمال الأطلسي (القاهرة : دار الجامعة الجديدة، 2001) ص 23 .
- (11) Woodrow , Wilson, The Fourteen Points (in) John , Vasquez, Classics Of International Relations (Washington: Prentice hall, 1986) pp 18-19.
- (12) محمد نصر ، عارف ، نظريات السياسة المقارنة ، مرجع سابق ، ص 191 .
- (13) ناصيف يوسف ، حني ، النظرية في العلاقات الدولية (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1985) ص ص 40-38 .
- (14) جيفري ، روبرت ، ألستر ، إدواردز ، القاموس الحديث في التحليل السياسي ، تر: سمير عبد الرحيم الجليبي (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، 1999) ص 322 .
- (15) Adrian, Leftwich, Drivers Of Change, Refining The analytical Framework (Washington: Department Of Politics, 2006) p 3-5.
- (16) David, Easton, The new revolution in political science, American political science review, No 63, December 1969, p 1052.
- (17) فريد ، هاليداي ، الإسلام و خرافة المواجهة : الدين و السياسة في الشرق الأوسط ، تر: محمد مستجير (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1997) ص 233 .
- (18) كنعان حمة غريب ، عبد الله ، التحيز و الموضوعية في علم السياسة : نظرية التنمية نموذجاً (الخرطوم : رسالة ماجستير غير منشورة كلية الدراسات العليا جامعة النيلين ، 2005) ص 116 .
- (19) James ,Roseneau, " Post Internationalism in a Turbulent world", (in) James Reseneau, Mary, Durfee(ed) Thinking theory Thoroughly :Coherent Approaches to Incoherent World (New-York: West view Press, 1995) pp3-19.
- (20) Fred, Halliday, International Relations and It's discontents, International Affairs , Vol 71, No 1 (1995), pp 740.
- (21) Robert, Jervis, The future of World Politics: Will it resemble the past? International Security, Winter 1991/1992, vol 16, no 3 pp 37-39.
- (22) John Lewis, Gaddis, International Relations Theory and the end of cold war International Security , Vol 17, No 3, 1992/1993, p 6.
- (23) James, lee ray, " Promise or Peril? Neorealism, Neoliberalism and the future of International politics", in .Charles W, Kegley Jr, Controversies In International Relations Theory (Washington: St martin's Press, 1995) pp 335-336.
- (24) Richard, Ned Lebow, "The Long Peace , end the end of The Cold War ,and The Failure of Realism"; in Richard, Ned Lebow and Thomas Risse, Kappen (eds) International Relations Theory and The End Of The Cold War (Washington: Columbia university press, 1995) p 23-26.: كما يمكن الإطلاع على
- Burby, Buzan, Charles, James and Richard Little, The logic of Anarchy Neorealism to stuctural Realism (Washington: Columbia University Press, 1993).
- Justin, Rosenberg, What's the matter with Realism? Review of International Studies , Vol 16, April 1990 , p 285-303.
- (25) شوكت ، إسعي ، تطور المعنى و تنوع المقتربات (بيروت : دار أبعاد ، 2007) ص 209.

- (26) يحيى ظريف ، الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية (تقنيها و إمكانية حلها) (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2011) ص 75 .
- (27) Ibid, pp, 20-29
- (28) Ibid, pp, 38-44.
- (29) Thomas, Risse, Kappen and Richard Ned, Lebow, " Ideas do not float freely: Transnational Coalitions, Domestic Structures, and the end of the cold war "in Thomas, Risse , Kappen and Richard Ned lebow (eds) Ibid, pp 187-222.
- (30) Richard, Saull, Rethinking Theory and History in the Cold War (London: Franc Cass), 2001 p 8.
- (31) Kenneth, Oye , " Explaining The End Of The Cold War: Morphological and Behavioral Adaptations to The Nuclear Peace ?"in Richard Ned Lebow and Thomas , Risse Kappan , Ibid, pp 329-342.
- (32) Ibid., pp 39-45.
- (33) John Lewis, Gaddis, " International Relations Theory and The End Of Cold War" , Op, cit p57-58
- (34) لقد ظهرت أدبيات جديدة على مستوى نظرية العلاقات الدولية ، تدعو للاهتمام بهذه المستويات الجديدة، حيث يمكن ذكر: Judith, Goldstein and Robert o.Keohane, **Ideas and Forien policy** (in) Paul Rr.Viotti, and Mark V Kauppi, Op-Cit , P 301.
- (35) Martha ; Fennimore, and Catherine Sekkink, International Norm Dynamics and political Change , International Organization, Vol 52, No 4; Autumn 1998 , pp 887-917.
- (36) Nicholas, Rangger and Ben Thinkell-White, Critical Theory Relations Theory after 25 Years (London: Combridge University Press, 2007) p 113.
- (37) Mark A, Neufeld, the restructuring og International Relations Theory (Washington:Combridge university Press, 1995) pp 96-106.
- (38) إيمانويل ، والريستين ، علم الاجتماع الغربي : مسالة و محاكمة ، تر: محمود النوادي (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011 ص 64 .
- (39) نادية ، محمود مصطفى ، المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية ، في :نادية مصطفى (إشراف) مشروع العلاقات الدولية في الإسلام : المقدمة العامة للمشروع ، ج1 (القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1996) ص 54-55.
-
- الهوامش :
- (1) جان ، مينو ، مدخل لعلم السياسة ، تر:جورج يونس (بيروت :مكتبة الفكر الجامعي ، 1967) ص 51 .
- (2) السيد شتا ، علي ، نظرية علم الاجتماع (القاهرة : مكتبة الإشعاع الفنية ، 1998) ص 114 .
- (3) عادل ، ثابت ، النظرية السياسية الحديثة (القاهرة : مكتبة خوارزم ، 2002) ص 39.
- (4) عادل ، ثابت ، مرجع سابق ص 41-42.
- (5) صلاح ،قنصوة ، الموضوعية في العلوم الإنسانية:عرض نقدي لمناهج العلوم ، ط2 (بيروت :دار التنوير ، 1984) ص 358-359
- (6) مكي ، أبو الفضل ، المنظور الحضاري و خبرة تدريس النظم السياسية العربية ، في دورة المناهج الإسلامية في دراسة العلوم الاجتماعية -علم السياسة نموذجاً (القاهرة :مركز الحضارة للدراسات السياسية -المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2000) ص 3.
- (7) محمد قاسم ، حاج حمد ، منهجية القرآن المعرفية (أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية و الإنسانية) (بيروت :دار الهادي ، 2003) ص 33.
- (8) محمد ، وقيع الله ، مدخل دراسة العلاقات السياسية الدولية ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد 94 ، السنة الرابعة ، خريف 1998، ص 74.
- (9) James, Dougherty, Robert, Pfaltzgraff, Contending Théories Of International Relations :A Comprehensive Survey(Washington :Longman, 2002) p 10.
- (10) علي ، عودة العقابي ، العلاقات السياسية الدولية (طرابلس : الدار الجماهيرية ، 1889) ص 21 .

- (11) محمد نصر ، عارف ، نظريات السياسة المقارنة و منهجية دراسة النظم السياسية العربية (واشنطن :مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، 1998) ص 140.
- (12) إيمانويل ، كانط ، مشروع السلام العادل ، تر: عثمان، أمين (القاهرة : مكتبة الأنجلو-مصرية ، 1967) ص 37-45.
- (13) ليلى ، مرسي ، أحمد وهبان ، حلف شمال الأطلسي (القاهرة : دار الجامعة الجديدة ، 2001) ص 23.
- (14) Woodrow, Wilson , The Fourteen points(in) John , Vasquez, Classics of International Relations (Washington :Prentice Hall, 1986)pp 15-18.
- (15) محمد نصر ، عارف ، نظريات السياسة المقارنة ، مرجع سابق ، ص 191 .
- (16) ناصيف يوسف ، حتي ، النظرية في العلاقات الدولية (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1985) ص 38-40 .
- (17) جيفري ، روبرت و ألستر ، إدواردز ، القاموس الحديث في التحليل السياسي ، تر : سمير عبد الرحيم الحلبي (بيروت : الدار العربية للدراسات ، 1999) ص 322
- (18) Adrain, Leftwich, Drivers Of Change , Refining The Analytical Framework (Washington :Département Of Politics, 2006) p p 3-5.
- (19) David, Easton, The New Revolution In Political Science , American Political Science Review, No 63 , December, 1969, p 1052.
- (20) فريد ، هاليداي ، الإسلام و خرافة المواجهة : الدين و السياسة في الشرق الأوسط ، تر: محمد مستجير (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1997) ص 233 .
- (21) كنعان حمة غريب ، عبد الله ، التحيز و الموضوعية في علم السياسة : نظرية التنمية نموذجاً (الخرطوم : رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النيلين ، 2005) ص 116
- (22) James ,Roseneau, " Post Internationalism in a Turbulent world", (in) James Reseneau, Mary, Durfee(ed) Thinking theory Thoroughly :Coherent Approaches to Incoherent World (New-York: West view Press, 1995) pp3-19.
- (23) Fred, Halliday, International Relations and It's discontents, International Affairs , Vol 71, No 1 (1995), pp 740.
- (24) Robert, Jervis, The future of World Politics: Will it resemble the past? International Security, Winter 1991/1992, vol 16, no 3 pp 37-39.
- (25) John Lewis, Gaddis, International Relations Theory and the end of cold war International Security , Vol 17, No 3, 1992/1993, p 6.
- (26) James, lee ray, " Promise or Peril? Neorealism, Neoliberalism and the future of International politics", in .Charles W, Kegley Jr, Controversies In International Relations Theory(Washington:St martin's Press, 1995) pp 335-336.
- (27) Richard, Ned Lebow, "The Long Peace , end the end of The Cold War ,and The Failure of Realism"; in Richard, Ned Lebow and Thomas Risse, Kappen (eds) International Relations Theory and The End Of The Cold War (Washington: Columbia university press, 1995)p 23-26.
- (28) شوكت ، إسّي ، تطور المعنى و تنوع المقترحات (بيروت : دار أبعاد ، 2007) ص 209
- (29) يحيى ظريف ، الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية (تقنيها و إمكانية حلها)(القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2011) ص 75 .
- (30) Ibid, pp, 20-29.
- (31) Ibid, pp, 38-44
- (32) Thomas, Risse, Kappen and Richard Ned, Lebow, " Ideas do not float freely: Transnational Coalitions, Domestic Structures, and the end of the cold war "in Thomas, Risse , Kappen and Richard Ned lebow (eds) Ibid, pp 187-222.

- ⁽³³⁾ Richard, Saull, Rethinking Theory and History in the Cold War (London: Franc Cass, 2001) p 8.
- ⁽³⁴⁾ Kenneth, Oye , " Explaining The End Of The Cold War: Morphological and Behavioral Adaptations to The Nuclear Peace (in) Richard Ned Lebow and Thomas , Risse Kappan , Ibid, pp 329-342.
- ⁽³⁵⁾ Ibid., pp 39-45.
- ⁽³⁶⁾ John Lewis, Gaddis, " International Relations Theory and The End Of Cold War" , Op, cit p57-58.
- ⁽³⁷⁾ Judith, Goldstein and Robert o. Keohane, Ideas and Forien policy (in) Paul Rr. Viotti, and Mark V Kauppi, Op-Cit , P 301.
- ⁽³⁸⁾ Martha ; Fennimore, and Catherine Sekkink, International Norm Dynamics and political Change , International Organization, Vol 52, No 4; Autumn 1998 , pp 887-917.
- ⁽³⁹⁾ Nicholas, Rangger and Ben Thinkell-White, Critical Theory Relations Theory after 25 Years (London: Combridge University Press, 2007) p 113.
- ⁽⁴⁰⁾ Mark A, Neufeld, the restructuring og International Relations Theory (Washington: Combridge university Press, 1995) pp 96-106.
- ⁽⁴¹⁾ إيمانويل ، والرستين ، علم الاجتماع الغربي : مساءلة و محاكمة ، تر: محمود الذوايدي (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 2011) ص 64
- ⁽⁴²⁾ نادية ، محمود مصطفى ، المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية ، في : نادية مصطفى (إشراف) مشروع العلاقات الدولية في الإسلام : المقدمة العامة للمشروع ، ج1 (القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1996) ص 54-55 .